اسم المصدر: الحياة الطبعة السعودية

التاريـــخ: 05-06-2009 رقم العـدد: 16863 رقم الصفحة: 22 مسلسـل: 118 رقم القصاصة: 1

من انطلاقة العهد إلى خطاب جامعة القاهرة

أوباما يبدأ علاقة جديدة مع العالم الإسلامي ولكن...

عمرو عبدالعاطي *

■ قبـل أن تطأ قدماه البيت الأبيض في ٢٠ كانـون الثاني (يناير) الماضي، تعهد الرئيـس الأميركي الجديد باراك أوباما فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي قائمة على الاحتـرام المتبادل والمصلحة المشـتركة، بعد ثماني سـنوات – فترتـي حكم الرئيس جورج دبليو بوش والمحافظين الجدد – من التدهـور والتوتر. ناهيك عن تراجع الصورة الأميركية في العالم الإسلامي.

وشهدت العلاقات الأميركية – الإسلامية مرحلة من التوتر والتدهور خلال السـنوات الثماني الماضية لم تشهدها من قبل في أوج أزماتها؛ لسياسات فريق المحافظين الجدد الذي سيطر بصورة قوية وجلية على إدارتي بـوش الابن، لا سـيما الأولى، بشـنه حرباً على دولتين إسلاميتين، أفغانستان (تشرين الأول/ أكتوبـر ٢٠٠١) والعـراق (آذار/ مـارس ٢٠٠٣)، وانحيازه الفج واللامتناهي الى الكيان الإسرائيلي. والأهم ربطه الإسلام بالعمليـات الإرهابيـة المتنامية بعد أحداث الحادي عشـر من أيلول (سبتمبر). فأقطاب إدارة بوش الابن كانوا ينظرون إلى الإسلام على أنـه «مفرخة الإرهاب»، وهو ما انعكس بصورة واضحة علـى خطابهم تجاه العالم الإسلامي الذي يتضمن مفاهيم ومصطلحات مناهضـة للإسـلام والمسـلمين مـن قبل «الحرب الصليبية الجديدة» لتوصيف الحرب الأميركية ضد أعدائها بالعالم الإسـلامي، والذين وُصفوا في سياق آخر بـ «الفاشيين الإسلاميين».

وخـلال الأشـهر الأربعـة الماضية، أو مـا يزيد، علـى الإدارة الأميركيـة الجديدة في البيت الأبيـض، أعرب أوبامـا وإدارته عـن رغبة قوية في نهـج جديد من العلاقات الأميركية مع العالم الإسلامي، ابتداء بخطابه التنصيبي وإجرائه أول حـوار تلفزيوني له كرئيـس للولايات المتحدة مع قناة «العربية» الفضائيـة، مروراً برسـالة تهنئته الشـعب الإيراني بعيد «النيروز» وخطابه أمام البرلمان التركـي، وانتهاء باختيار وزيـرة خارجيته جاكرتا لتكون أول عاصمة إسلامية تزورها، وهو اختيار لـم يكن من باب المصادفة كما صرحت الوزيرة نفسها.

هذه التحركات والتصريحات ذات مغزى يرسـم ملامح السياسة الأميركية مع العالم الإسـلامي خلال السـنوات الأربع المقبلة، فترة أوباما في البيـت الأبيض. وفي حقيقة الأمر، هناك أربعة مقومات أساسية تعزز من فرص أوباما في مهمته لتدشـين عهد جديد من العلاقات الأميركية مع العالم الإسلامي كشفت عنها الأشهر التي قضاها في مكتبه البيضاوي، وهي:

أولاً: القبول الذي يتمتع به في الأوسـاط الشـعبية الإسـلامية والعربية سـواء إبان حملتـه الانتخابية الرئاسـية خـلال العام المنصـرم أو بعد فـوزه برئاسـة الولايات المتحدة. فشـعبية أوباما في تلك الأوسـاط تتفوق على شـعبية الولايات المتحدة ذاتها. ففي اسـتطلاع لمعهد «ايبسوس» في ست دول عربيـة (الأردن، الإمـارات، المملكـة العربية السـعودية، لبنان، الكويت، ومصر) خـلال الفترة من ٩ إلـى ٢٥ آذار (مارس) الماضـي ظهـر أن ٣٣ في المئـة يحملون مشـاعر إيجابية عن الولايات المتحدة بينما ٤٨ فـي المئة يكنون تقديـراً رفيعاً لأوباما، وتلـك النتائج أكدها الاسـتطلاع السـنوي للـرأي العام العربـي الذي يجريـه «معهد أنور السادات للسـلام والتنمية» في جامعة «ميريلاند» الأميركية بالتعاون مع مؤسسـة «زغبي الدولية» خلال شهري نيسان (أبريل) وأيار (مايو) من العام الحالي في سـت دول عربية أيضاً. ولهذا يمثل أوباما فرصة مواتية للولايات المتحدة لـن تجد أفضل منه ليعيد بنـاء الهوة بينها والعالم الإسـلامي، ويفتح صفحـة جديدة مع شـعوبه تطوي مآسـي السنوات الثماني الماضية.

هـذا، إلـى جانـب كاريزميـة الرئيس الأميركـي الجديـد ونظرة شـعوب العالم الإسلامي إليه على أنه وجه أميركا الجديدة الذي يجسد رؤيتهم للولايات المتحدة كدولة الديموقراطيـة والحريات بعد تراجع الإيمان الإسلامي بها خلال فترتي بوش. ناهيك عن سيطرة جذور أوباما الإسلامية وترعرعه في أكبر دولة إسـلامية (إندونيسيا) على ذاكرة ومدركات شـعوب العالم الإسلامي للرئيس الأميركي.

ثانياً: نجاح أوباما خلال الأشهر القليلة له في البيت الأبيض في إعادة صوغ الخطاب الأميركـي تجاه العالم الإسـلامي، وتنقيته من النظرة الأميركية الاسـتعلائية والألفاظ المتعجرفـة، والاسـتدعاء المغلـوط لنظرية «صراع الحضـارات» لصموئيل هينتنغتون من أن الإسـلام هو عـدو الولايات المتحدة بعد انهيار وتفكك عدوها الرئيس إبان الحرب الباردة (الاتحاد السوفياتي)، والتي روج لها أقطـاب المحافظين الجدد خلال سـنواتهم في البيت الأبيض. ففـي خطابه التنصيبي، أكد أوباما سـعيه إلى نهج جديد مع العالم الإسـلامي قائم على المصالح المشـتركة والاحتـرام المتبادل، وأمام البرلمان التركي نفى كون واشـنطن في حرب مع الإسـلام قائـلاً: «إن الولايات المتحدة ليسـت، ولن تكـون، في حرب مع الإسـلام»، فضلاً عن تأكيده أثر الحضارة والثقافة الإسلامية في تقدم الولايات المتحدة.

ثالثاً: ينطلـق أوباما فـي تعاملـه مـع العالم الإسـلامي وقضاياه من رؤيته العالم الإسـلامي كما هو (as it really is) وليس من رؤيته لما يجب أن يكون عليه (like it to be)، وذلك علـى خلاف إدارة الرئيس بوش وأقطابها مـن المحافظين الجدد التي كانت تنطلـق من رؤية أيديولوجية وأفكار مسـبقة صيغـت خلف الأبـواب المغلقة عـن العالم الإسلامي وشـعوبه، لكن أوباما يسمو فوق تلك الأفكار الأيديولوجية والقوالب الجامدة. وينظـر أوباما إلـى العالم الإسـلامي على أنه شريك اسـتراتيجي على قدم المساواة مـع الولايات المتحدة وليـس كتهديد للأمن والمصلحـة القوميـة الأميركية على خلاف سياسات المحافظين الجدد التي كانت تنظر إلى العالم الإسـلامي على أنـه تهديد لأمن الولايات المتحدة ومصالحها.

رابعاً: انعكس هـذا التوجه على مقاربة أوباما قضايا العالم الإسلامي، بتعامله مـنذ اليـوم الثاني لـه فـي البيت الأبيض مع قضاياه كما هي فـي الواقـع، فجاء تعيين مبعوثين على درجة عالية من الكفاءة والمهنية السياسية إلى أقاليم أزماته. وقد أعطى القوة الناعمـة والديبلوماسـية أولويـة على القوة الصلدة لتنفيذ السياسة الخارجية الأميركية وللحفـاظ علـى أمـن ومصالـح الولايات المتحدة. وشـدد علـى حـل الدولتين حلاً للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي، والضغط علـى الحكومة اليمينيـة الإسرائيلية بوقف تمدد مستوطناتها في الأراضي الفلسطينية، ورفض الانصياع لتأثير اللوبي الإسـرائيلي داخل واشـنطن لتماهي الولايـات المتحدة مع السياسـات الإسـرائيلية في الأراضي الفلسطينية والأزمة النووية الإيرانية.

يُثيـر توجه باراك أوباما الى فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي خمس ملاحظات رئيسة، هي:

أولاً: إن تحسـين صـورة الولايـات المتحـدة فـي العالـم الإسـلامي ليس من الأمـور السـهلة، خصوصـاً أن الصـورة السلبية لواشـنطن والمرسخة في كثير من بلدان العالم الإسـلامي لم تتكون بين عشية وضحاهـا ولن تتبـدل بين ليلـة وضحاها. وأن نجاح الديبلوماسـية العامـة الأميركية

اسم المصدر: الحياة الطبعة السعودية

التاريـــخ: 05-06-2009 رقم العـدد: 16863 رقم الصفحة: 22 مسلسـل: 118 رقم القصاصة: 2

الملك عبد الله بن عبد العزيز مستقبلاً الرئيس أوباما في الرياض. (أ ب)

لا يمكن أن تنفصل عن نجاح الديبلوماسية الرسمية.ثانياً: محورية الصراع العربي – الإسرائيلي والعراق في التقارب الأميركي مع العالم الإسلامي، وهما يشكلان أكبر التحديات التي تقف أمام أي فرصة لإعادة تشكيل العلاقات الأميركية – الإسلامية. ومن دون إنهاء العنف والفوضى في العراق وسحب القوات الأميركية، ومن دون إظهار واشنطن دوراً نشطاً وريادياً في التوصل إلى تسوية عادلة وشاملة للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي سيظل العرب ينظرون بعين الشك والريبة لأي أهداف تسعى واشنطن إلى تحقيقها في المنطقة وإن كانت الإصلاح والتحول الديموقراطي.

ثالثاً: لا تعني سياسة أوباما للتعامل مع تراجع التأييد للولايات المتحدة الأميركية في العالم الإسلامي وتدهور الصورة الأميركية، والسياسة الأميركية التي كانت وراء هذا التدهور والتراجع في المكانة الأميركية تغييراً في ثوابت السياسة الخارجية الأميركية. فالقراءة التاريخية للسياسة الخارجية الأميركية تجاه العالم الإسلامي (وفي القلب منه الشرق الأوسط منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى بدايات القرن الحادي والعشرين) تكشف أن سياسات الإدارات الأميركية على اختلافها، ديموقراطية وجمهورية، تجاه الشرق الأوسط، لم تتغير بصورة جوهرية، فهناك مصالح استراتيجية ثابتة، منها أمن إسرائيل والنفط والدفاع عن النظم العربية الصديقة والحليفة للولايات المتحدة الأميركية هذه مصالح لم تتغير كثيراً على اختلاف الإدارات. وهو ما يؤسس صورة بنيوية ثابتة للسياسة الأميركية تجاه قضايا الشرق الأوسط. ولذا، فإن أي تغيير في السياسة الأميركية تجاه قضايا العالم الإسلامي ومنه منطقة الشرق الأوسط سيكون تغييراً تكتيكياً وليس استراتيجياً.

رابعاً: العالم الإسلامي ليس كتلة واحدة متجانسة مجتمعة في كيان واحد، والذي يجعل مهمة أوباما للتقرب إلى العالم الإسلامي ككل مهمة صعبة. فمن الصعوبة بمكان اعتماد أوباما خطاباً موحداً إلى العالم الإسلامي من مكان واحد. فاستخدام أوباما قالباً واحداً للتعامل مع العالم الإسلامي لن يجدي، لجملة من الاختلافات والتنافرات بين دول العالم الإسلامي التي تكون في التحليل الأخير معوقاً لفرص التقارب الأميركية مع العالم الإسلامي.

أخيراً، إن الولايات المتحدة ليست كلها باراك أوباما. فما زالت هناك داخل الولايات المتحدة قوى سياسية رافضة للتقارب الأميركي مع العالم الإسلامي وإعادة تشكيل العلاقات الأميركية – الإسلامية، والاعتذار عن سياسات بوش الابن والمحافظين الجدد التي وتّرت العلاقات الأميركية مع العالم الإسلامي أنظمة وشعوباً، وهناك داخل واشنطن من لا يريد ذلك على الإطلاق من أقطاب المحافظين الجدد وعدد من أعضاء الكونغرس الأميركي وعدد من مراكز التفكير والرأي الأميركية ومنظمات اللوبي الإسرائيلي، وهي قوى مؤثرة في صناعة القرار الأميركي. وهذا الأمر يفرض على أوباما إحداث صيغة توازنية في مقاربته العالم الإسلامي تحقق هدفيه من فتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي وعدم إغضاب المؤثرين في صناعة القرار الخارجي الأميركي.

---

* محرر «تقرير واشنطن»، أحد مشاريع «معهد الأمن العالمي»